مكانة المصطلح القرآني في الفكر الإسلامي

خضرة بن هنية : أستاذة محاضرة "ب"
كلية العلوم الإسلامية ـ الخروبة

الملخص:

الفكر الاسلامي هو كل المحاولات العقلية من طرف علماء ومفكري الاسلام في فهم الوحي فهو مجلى الذات و خزان معرفي ومنهجي لكل المجالات بما فيها الدراسات الاصطلاحية.

الا أن القارئ للفكر يكتشف أن العقل المسلم كان في أغلب الأحيان أسير للفكر الغربي الدخيل لذلك كانت دعوة المفكرين الاسلاميين منذ القدم تحث على الرجوع الى المصطلحات والمفاهيم القرآنية بذلا من المصطلحات الدخيلة باعتبار أن المصطلح القرآني هو المعيار الذي يمكن به تحديد مدى انكباب علماء الاسلام على القرآن الكريم ومدى التفافهم بنتاج العقل الغربي فاستعمالهم للمصطلحات التي أفرزها العقل الغربي تحمل زخما من مفاهيم دخيلة بعيدة عن القيم الاسلامية رغم غنى الفكر الإسلامي بمصطلحاته وتنوعها مما جعله مميزا عن الفكر الغربي وذلك بخصوصية مصطلحاته و مصادره وأهم خصوصيته تتمثل في المصطلح القرآني لذلك تطرح إشكالية : ما موقع المصطلح القرآني في الفكر الإسلامي؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية لا بد من وضع خريطة أهم عناصرها ما يأتي:

1. تحديد المفاهيم.
2. خريطة المصطلح في الفكر الإسلامي
3. مكانة المصطلح القرآني في الفكر الإسلامي.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

المنارة للاستشارات

ww

Abstract

The Islamic thought includes all the theologians rational efforts in explaining the miracle, because it's the essence evacuee, plus it's a huge methodic knowledge for all the fields, including terminology. However, who read about the Islamic thought will discover that the Muslim thinking was mostly prisoner of foreign western thought. Therefore Islamic thinkers call encourage since the old time going back to use el-Quran terms and notions ,instead of foreign terms, considering the Quran terms as a standard ,that allow us to know how much are the Islamic theologians entirely occupied by the Quran and their gather around the western production. Because their use of terms that are made by the Western thought has a sort of foreign notions which are unlikely far from the Islamic values, despite the fact that the Islamic concept is very rich with its own terms which made it different from the Western thought by its terms characteristics and its sources, plus the most important one which is the Quran term so it resulted with the following problematic which is: What does Quran terms refers in the Islamic thought? to answer this problematic we have to make a plan which includes these important points :

1. definiton of conceptions
2. plan of Islamic thought terms
3. position of the Quran terms to the Islamic thought

مقدمة

يعتبر القرآن الكريم في مسار المعرفة الإنسانية ثورة علمية وفتحا جديدا في تاريخ العلوم، أدّى إلى إنتاج معارف وتبلور علوم كثيرة؛ منها ما نَبَعَتْ منه، كـ: (علم العقيدة) و(علم الفقه)؛ ومنها ما كانت خادمة له، كـ: (علم أصول الفقه) و(علم التفسير) و(علوم القرآن الكريم)، وغيرها، وكلّها داخلة في دائرة ما يسمى بـ(**الفكر الإسلامي**).

وإن كان القرآن الكريم قد حظي بعدد من العلوم، نشأت في الحضارة الإسلامية، لفهمه واكتناه معانيه، فقد كان مجلى الذات، وخزّانًا معرفيًّا ومنهجيا واصطلاحيا لكل مجالات الفكر، الشرعية منها خاصة، باعتبار أن مصادره تتمثل في الوحي بالدرجة الأولى، ثم العقل والكون.

واستمداد العلوم الشرعية مصطلحاتها من القرآن الكريم يجعل من هذه الأخيرة الأصول الفكرية لكل منتج للفكر والمعرفة سواء كان فقيها أو أصوليا أو متكلما أو

المنارة للاستشارات

ww

مفسرا...، إذ أن المصطلح هو اللبنة الأولى لكل علم، بل هو مدار كل علم، حتى قيل: إن مفاتيح العلوم كامنة في مصطلحاتها وألفاظها التي هي قوالب للمعاني، والكشف عن هذه المعاني كشف عن العلوم وأخذ بعنانها، فأصبح المصطلح ضرورة من ضرورات البحث ومقدمة أساسية لا يمكن تجاوزها من أجل الوصول إلى النتائج الموثقة المطابقة لحقيقة الفكر الإسلامي.

فلا سبيل إلى تحليل وتعليل ظواهر أي علم دون فقه المصطلحات ولا سبيل إلى تجديد أي علم دون فقه مفاهيم المصطلحات بل إنما تتبلور العلوم بالنظر إلى مصطلحاتها حتى يصبح كل منها علما قائما بذاته يخدم مشروعا علميا حضاريا.

والمصطلح القرآني يقع في صلب هذه العملية الحضارية فهو الأصل والأساس لأنه يقدم إطارا واسعا من المفاهيم والمصطلحات النصية الربانية التي تخدم الفكر الإسلامي.

والفكر الإسلامي غني بمصطلحاته المتنوعة والمتعددة مما جعله مميزا يختلف عن الفكر الغربي، وذلك بخصوصية مصطلحاته ومصادره. وأهم خصوصية تتمثل في المصطلح القرآني لذلك تطرح إشكالية: ما هو موقع المصطلح القرآني في المنظومة المعرفية للفكر الإسلامي؟.

للإجابة على هذه الإشكالية لابد من وضع خريطة تبيّن تنوع المصطلح في الفكر الإسلامي للوصول إلى موقع، ومكانة المصطلح القرآني، وذلك بعد تحديد المفاهيم، والمصطلحات المحورية لهذا الموضوع على النحو الآتي:

- المبحث الأول: مفهوم الفكر الإسلامي.
- المبحث الثاني: مفهوم المصطلح القرآني.
- المبحث الثالث: خريطة المصطلح في الفكر الإسلامي.
- المبحث الرابع: مكانة المصطلح القرآني في الفكر الإسلامي.
- الخاتمة.

المنارة للاستشارات

ww

المبحث الأول

مفهوم الفكر الإسلامي

إن النظر إلى المصطلح القرآني على أنه مكون من مكونات المنظومة المعرفية للفكر الإسلامي يستوجب منا الوقوف عند هذا الإطار المعرفي العام للمصطلح القرآني، وبيان مدلوله وخصوصياته.

ومصطلح (**الفكر الإسلامي**) مركّب وصفي من كلمتين: (**فكر**)، و(**إسلام**)، وتعريفه يتوقف على بيان هذين اللفظين كما يأتي.

المطلب الأول: تعريف الفكر:

تناولت قواميس اللغة والدراسات العلمية والفكرية تعريف الفكر تناولا موسعا، نقتصر على أهم ما ورد فيه.

الفرع الأول: تعريف الفكر لغة:

الفكر كما ورد في لسان العرب هو: « إعمال الخاطر في الشيء »[1]، وفي القاموس المحيط: « هو إعمال النظر في الشيء كالفكرة »[2].

وجاء في (المصباح المنير): أن (**الفِكر**) ـ بالكسر ـ: « تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني... »، ويقال: « ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا »[3]، وهو عند الرازي(ت: بعد 666 هـ): « التفكُّر: التأمل »[4].

فالتفكر والتأمل والتدبر هي عبارات مترادفة على معنى واحد[5]، لكن يرى البعض أن التدبر هو تصرف القلب بالنظر في العواقب، أما التفكر فهو يصرف بالنظر في الدلائل[6].

أما في القرآن الكريم نجد لفظ الفكر جاء بمعنى التفكر والنظر والتدبر والرؤية واستعمال العقل إذ تضمن لفظ الفكر ومشتقاته في مواضع كثيرة كلها جاءت بصيغة الفعل فقط نذكر منها قوله تعالى: **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)** [البقرة: 219].

وقوله تعالى: **(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)** [البقرة: 266].

المنارة للاستشارات

ww

وقوله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: 191].

وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [سبأ: 46].

وقوله تعالى: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الأعراف: 176].

وقوله تعالى: (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [يونس: 24].

وقوله تعالى: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) [المدثر: 18].

فكلها ألفاظ جاءت بصيغة الفعل وهذا دليل على إعمال العقل والنظر والتأمل.

فورود كلمة الفكر بصيغ مختلفة وفي مواضيع كثيرة من القرآن الكريم كلها تدعو إلى التفكر في خلق السماوات والأرض، والنظر في أصول النفس الإنسانية، والنهي عن التقليد على شاكلة الذين يقدرون الحياة المادية وحدها، ولا يكون الفكر إلا بالتفكير وهو استعمال العمليات المنطقية والعقلية للحصول على المعارف سواء كان السلوك حسنا أم سيئا.

الفرع الثاني: تعريف الفكر اصطلاحا:

يذكر جميل صليبا في (المعجم الفلسفي) أن للفكر في الاصطلاح العام للعلوم إطلاقان:

الأول: النظر والتأمل.

والثاني: الموضوع الذي تفكر فيه النفس.

قال: « إنّ (**الفكر**) يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها فإذا أطلق عل فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على الموضوع الذي تفكر فيه النفس »[7].

والإطلاق الأول أشهر في الاستعمال، وأغلب التعاريف جاءت لا برازه فقد عرف بأنه: «إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها »[8]؛ فـ(الفكر) جهد عقلي يقوم على النظر والتأمل للوصول إلى المعرفة.

وجاء في (الموسوعة السياسية) أن النظرة إلى الفكر تختلف باختلاف المذاهب الفلسفية والاجتماعية المختلفة، وأنه يمكن إجمالها في ثلاث وجهات نظر أساسية أهمها: «الفكر هو أداة للكشف والخلق والتأثير والتغيير فهو ليس مجرد مرآة تعكس الواقع وتطوره وهذه هي النظرة العملية الموضوعية للفكر »[9].

المنارة للاستشارات

ww

وأما في اصطلاح علماء الإسلام فإنه يدل على النظر، وهو ما ذكره الإمام الجويني(ت: 478 هـ)، إذ قال: « و(**النظر**) ـ في اصطلاح الموحدين ـ: هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن »[10].

ويعرف الإمام أبو حامد الغزالي (ت: 505 هـ) الفكر بأنه: « إحضار معرفتين في القلب ليستخرج منهما معرفة ثالثة »[11].

فهو بهذا التعريف يجعل الفكر مرادفا للتأمل والتدبر كما أثبتته قواميس اللغة .

ويذكر الإمام الجرجاني بأنه: « ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول »[12].

ويعرفه التهانوي بقوله: « الفكر هو تلك الحركة والنظر هو الملاحظة التي في ضمنها، وقيل لتلازمهما أن الفكر والنظر مترادفان »[13].

ومن المفكرين المعاصرين عرفه الدكتور طه جابر العلواني ـ بقوله: « الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء أكان قلبا أو روحا أو ذهنا بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء[14]؛ من خلال التعريفات السابقة نستخلص :

1 ـ أن الفكر هو إعمال النظر والتأمل للوصول إلى معرفة جديدة.

2 ـ الفكر لا يقف عند كشف الواقع وتطوره والخلق والتأثير والتغيير فهو ليس مجرد مرآة تعكسها، وهذه هي النظرة العملية الموضوعية للفكر.

3 ـ أن الفكر هو عملية ذهبية تنطلق من مقدمات للوصول إلى نتيجة أي معرفة جديدة، وهو غير عملية التفكير هي غير الفكر بل تنتج لنا الفكر..

وعليه فالتفكير هو الرجوع إلى النفس وإلى الكون لسبر أغواره حتى يعيش الإنسان محفوفا بهالة من نور[15].

فالإسلام أيقظ الفكر الحي ليعمل العقل في كشف معجزة الخلق الكبرى في الإنسان وفي الكون من حوله والفكر الإنساني في القرآن الكريم له خصائصه القائمة على أساس من:

1 ـ الالتزام الإنساني العام.

2 ـ الاستجابة لنداء الفطرة والوحي ومن ثم نشأ الفكر الإسلامي انطلاقا مما سبق ذكره، أي أن علماء المسلمين انطلقوا في تفكيرهم من الوحي.

المنارة للاستشارات

ww

المطلب الثاني: تعريف الفكر الإسلامي:

هناك عدة مفاهيم للفكر الإسلامي إذ حاول بعض المفكرين المسلمين المعاصرين الإسهام في تحديد وصياغة التعريف الاصطلاحي للفكر الإسلامي منها:

1 ـ الفكر الإسلامي هو: التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الأزلية[16]، ويقصد بذلك أن عقل المسلم يتدبر ويتأمل وينظر في كل ما جاء به الوحي من قرآن وسنة فيتكيف معه ليصل إلى معارف وحقائق.

2 ـ ويذكر الدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي في تطوره: بأنه المحاولات العقلية من علماء المسلمين لشرح الإسلام في مصادره الأصلية: القرآن والسنة الصحيحة[17]؛ وهو بذلك يقصد كل ما أنتجه العقل المسلم لفهم الوحي.

3 ـ ويعرف الفكر الإسلامي: بأنه تلك المحاولات العقلية لفهم الإسلام وشرحه من مصادره الأصلية ويمكن تقييد هذا التعريف تقييدا يفيد إضافات في المنهج والوجهة فيعرف الفكر بالتالي بأنه تلك: المحاولات العقلية لفهم الإسلام وشرحه من مصادره الأصلية سعيا للانسجام مع ما خلق الله تعالى في التسليم والاستسلام لله عز وجل[18].

4 ـ ويحدد الدكتور محسن عبد الحميد: مفهومه فيقول: « مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة، وهو يعني كل ما أنتج فكر المسلمين منذ بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهاد العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوك[19]، أيْ: أن الفكر الإسلامي هو ناتج عن عملية التفكير الاجتهادي القابل للخطأ المرتكز إلى كليات الإسلام الأساسية بل والصادر عنها بعيدا عن كل نتاج يعتمد كليات وفلسفات مغايرة لنظرة الإسلام العامة وكلياته، وكل ذلك لالتزام المعايير الإسلامية في فهم النصوص ومراعاة أصول الاستنباط طبقا لقواعد اللغة العربية ومنطق الشريعة.

وبناء على ما تقدم يمكن تعريف الفكر الإسلامي بأنه: « كلّ ما أنتجه العقل المسلم في محاولة فهم وشرح الإسلام من مصدره الأصلي المتمثل في الوحي، سواء كان ما وصل إليه العقل صحيح أو الخاطئ في مختلف الموضوعات والإشكالات والقضايا المرتبطة بحياة الإنسان والكون ».

المنارة للاستشارات

ww

ونؤكد على أن الفكر الإسلامي شامل يغطي جميع جوانب الحياة يتناول مجالات كثيرة فهو لا يقتصر على علم الكلام والفلسفة والتصوف كما يرى البعض بل يتناول كل مجالات المعرفة، ولا يقتصر على مجتمع معين بل للمجتمعات الإنسانية كافة فما توصل إليه العلماء من تأسيس علم أصول الفقه وعلم الكلام وعلم المقاصد وغيرها من العلوم الشرعية والاجتماعية هو الفكر الإسلامي.

كما نؤكد على ضرورة عدم الخلط بين ما أنتجه العقل المسلم وما جاء به الوحي فالأول اجتهاد بشري معرض للتغيير والتبديل والنقد، أما الوحي فهو المصدر الأول والقطب الأعلى الذي يعتمد عليه العقل المسلم في إنتاج فكرة وعليه من أنتج فكرا دون الاعتماد على الوحي والرجوع إليه لا يسمى فكرا إسلاميا وإنما يسمى فكرا بشريا إنسانيا قد يكون عاجزا عن الإدراك السليم للحقائق معرضا للوقوع في الخطأ ومعرفة الأشياء أما إذا استند إلى الوحي فإمكانية الخطأ فيه تقل، ذلك أن العقل الإنساني تتحكم فيه الغريزة، والهوى فيعيق العقل عن حركته السليمة ويحجبه عن الإدراك السليم لحقائق الأشياء بل يعطله أحيانا تعطيلا كاملا.

وخلاصة القول فإن الفكر الذي لا ينضبط بضوابط الإسلام ولا يتخذ الوحي مصدرا أساسيا في صياغة منهاج التفكير والنظر والتحليل والاستنباط يعتبر فكرا لا علاقة له بالإسلام وبذلك لا يمكن تسميته بالفكر الإسلامي.

المبحث الثاني
مفهوم المصطلح القرآني

يعتبر المصطلح القرآني مكونا من مكونات المنظومة المعرفية في الفكر الإسلامي، إذ النص القرآني يحفل بكلمات مفتاحية ينبغي اكتشافها، لذلك يمكن اعتبارها مفاتيح العلوم في الفكر الإسلامي، وهذا ما سوف نبينه لاحقا، لكن قبل ذلك نقول إن (**المصطلح القرآني**) مركب وصفي يتكون من كلمتين: (**مصطلح**) و(**قرآن**).

المطلب الأول: المصطلح في المفهوم اللغوي العام

لم ترد كلمة (**مصطلح**) في أيّ قاموس قديم من القواميس المشهورة، إلّا أنّ جذر (**صلح**) الذي ترجع إليه مفردة (مصطلح) يدل على المسالمة والاتفاق، فقد جاء في (لسان العرب) في مادة (صلح) قوله: « الصلاح ضد الفساد، والإصلاح نقيض الفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد والصلح تصالح القوم بينهم، والصُّلح السِّلم »[20].

المنارة للاستشارات

ww

وجاء في (أساس البلاغة) للزمخشري قوله: « وصلح فلان بعد الفساد، وصالحوا العَدُوَّ، ووقع بينهما الصلح، وصالحه على كذا وكذا وتصالحا عليه واصطلحا، وهم لنا صَلْحٌ أي مصالحون »[21].

وأمَّا في (معجم متن اللغة) فقد ورد فيه قوله: « (**الاصطلاح**): اتفاق الجماعة على أمر مخصوص »[22]؛ إلَّا أنَّ أوَّلَ قاموسٍ عربيٍّ وَرَدَتْ فيه هذه اللفظة فهو (تاج العروس) للزبيدي، حيث ذكر (الاصطلاح) بمعنى: « اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص »[23].

وبهذا يتضح لنا ـ مما سبق ذكره ـ أنَّ المعنى اللغوي لمادَّة (**صلح**) ومشتقَّاتها هو نقيض الفساد؛ أما المعنى الاصطلاحي (**اصطلاح**) على وزن (**افتعل**)، قُلِبَتْ تاء (**الافتعال**) طاءً، لتجانس الصاد.

و(**الاصطلاح**) على وزن (**الافتعال**): « اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص »، وقد ورد لفظ (**اصطلح**) بمعنى: اتفق في الحديث الشريف، ومن ذلك: ما جاء على لسان سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ حين عاده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مرضه قبل وقعة بَدْرٍ، طالبا العفوَ عن عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول، فقال: يا رسول الله اعْفُ عَنْهُ، واصفح عنه، فوالذي أَنْزَلَ عليكَ الكتابَ لقد جاء اللهُ بالحقِّ الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يُتَوِّجُوهُ، فيعصبونه بالعصابة، فلمَّا أَبَى اللهُ ذلك بالحقِّ الذي أعطاك اللهُ شَرِقَ بذلك، فذلك فَعَلَ بهِ ما رأيْتَ، فعفا عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [24]؛ وفي حديث صلح الحديبية: « ولكن أكتب هذا ما اصطلح عليه محمد ابن عبد الله »[25].

وحين نُبْصِرُ بعضَ نصوصِ تُراثِنَا العربي نجد أنَّ مفردات هذه المادَّة تعني أيضا الاتفاق؛ وبين المَعْنَيَيْنِ تقاربٌ دَلَالِيٌّ، فإصلاحُ الفسادِ بين القوم لا يَتِمُّ إلَّا باتِّفَاقِهِم[26].

ووقف علماء اللغة المُحْدَثُونَ على مفهوم (**المصطلح**)، وساق بعضهم تعريفا شاملا له، بقوله: « فهو في نظرنا اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم عِلْمِيٍّ أو عَمَلِيٍّ أو فَنِّيٍّ أو أيِّ موضوع ذي طبيعة خاصة »[27]؛ فدلَّ على أن الاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية.

ومسألةُ اتخاذ المصطلح دالًّا لمدلولٍ مَا أمرٌ في غاية الدقَّة، وهو ليس اعتباطا، ولكنه عمليَّة فكريَّة دقيقة، يحشد لها رجالُ الفكرِ واللغة إمكاناتهم كلّها ضمن أُطُرٍ عملية ومنهجية، تجعل المصطلح المتعارف عليه من اللغة العربية يخضع لنظامها وقياسها.

المنارة للاستشارات

ww

وعليه يمكننا القول بأنّ (**المصطلح**) أداة ضبط للمعرفة وتنظيم للفكر وحصر للفروع التي تنتمي إلى أصل واحد.

أما المعنى الاصطلاحي للفظة (**المصطلح**): فهو: « اتفاق جماعة على استعمال اللفظ في معنى بذاته، فإنْ تَمَّ هذا الاتّفاق بين الفقهاء في مسألة معينة فهو مصطلح فقهي؛ وإن تَمَّ بَيْنَ الأصوليّينَ فهو مصطلح أصوليّ، وإن تَمَّ بين المتكلمين فهو مصطلح كلاميّ؛ وإن تَمَّ بين النحويين فهو مصطلح نحوي؛ وهَلُمَّ جرًّا..

وإذا جئنا إلى تعريفات المُحْدَثِينَ، نجد بعضهم يعرِّف (**المصطلح**) بقوله: « هو كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات، وتسميتها في إطار معين وتقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة»[28]، أيْ: أنّ (**المصطلح**) عموما هو كل لفظ أُتِيَ به من المجال اللغويّ العامّ ليدلّ على مفهوم مُحدَّد في مجالٍ علميٍّ خاصٍّ.

وتجدر الإشارة هنا إلى لفظة (**المصطلح**) معناه ـ عند الغرب ـ: « رَمْزٌ متّفَقٌ عليه، يمثّلُ مفهومًا حُدِّدَ في مجالٍ معرفيٍّ خاصٍّ »[29].

فـ(**المصطلح**) = مضمون (قيمة دلالية) + تعبير (الصيغة اللغوية الإيصالية) أو رمز اتفاقي لتصور ما يتألف من أصوات منطوقة أو الشكل الذي تمثل به كتابيا (بالحروف) وقد يكون المصطلح كلمة أو عبارة[30].

فأمّا القرآن فهو كلام الله تعالى لفظًا ومعنًى، المُنَزَّل على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، عن طريق جبريل ـ عليه السلام ـ، المُنَزَّه عن الخطأ، المنقول إلينا بالتواتر، المُعْجِز بألفاظه؛ فهو معروف بداهة.

وقد أفرد له علماءُ الإسلام تعريفات كثيرة، منها ما ذكره الإمام الزركشي (ت: 794 هـ) بقوله: « القرآن هو الوحي المنزل على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للبيان والإعجاز »[31]؛ وقريب منه تعريف الإمام الجرجاني (ت 816 هـ) بقوله: « القرآن هو المنزل على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة»[32].

نخلص ـ من خلال كلامنا السابق ـ إلى أن للقرآن خصائص لا توجد في غيره، فهو كلام معجز، تحدّى الله به الجنّ والإنس، عربهم وعجمهم، بقوله تعالى: **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)** [الإسراء: 88].

المنارة للاستشارات

ww

إن في لغة القرآن الكريم تطوُّرًا دلاليًّا واسعًا عن لغة الشعر الجاهلي أو العصر الجاهلي، مما يدلّ على أنّ هذا التطور يستحيل أن يصنعه فَرْدٌ أو أُمَّة؛ ولعل هذا التطوُّر الدلالي يكون إثباتا جديدا، ودليلا علميا في باب دلالة اللغة على إعجاز القرآن الكريم، مما جعل النص القرآني يتميَّز بخصائص لا نجدها في الكتابات البشرية؛ أهمها: أنَّ النصَّ القرآنيّ يحتوي على مفردات ومصطلحات ومفهومات خاصة به، سُمِّيَتْ بـ(**المصطلحات القرآنية**) أو (**المفهومات القرآنية**) ومِنْ ثَمَّ كان لابدّ أن نعرف (**المصطلح**) في المفهوم اللغويّ العامّ، حتّى نصل إلى تحديد مفهوم (**المصطلح القرآني**) الخاص.

المطلب الثاني: المصطلح القرآني في المفهوم الخاص

لا نجد في كتب القدماء تعريفا واضحا مستقلا للمصطلح القرآني، على الرغم من تَنَبُّهِهِمْ في زمن مبكِّرٍ إلى الخصوصية الدلالية لألفاظ القرآن الكريم، من خلال دراستهم لنصوصه، قَصْدَ تفسيرِها، وتقْريبِ معانيها للنّاس، فألَّفوا مؤلَّفات كثيرة، تتناول معاني القرآن، ومفرداته، وبلاغته، فضلا عن مدوَّنات تفسيره.

وقد تطور هذا الاهتمام عند الباحثين المعاصرين باعتبار أنَّ ألفاظ القرآن الكريم هي مصطلحات ذات مفاهيم كبرى واسعة، تتميز بخصوصية، ناتجة عن خصوصية القرآن بصفة عامة.

ومن فضل الله تعالى أنْ نَجِدَ عالِمًا متخصِّصا ـ مثل الشيخ الفاضل الدكتور شاهد البوشيخي ـ يُحدِّد لنا مفهوم (**المصطلح القرآني**) بقوله: « إنَّه ذلك اللّفظ الذي أكسبه استعماله في القرآن الكريم دلالة خاصة زائدة على الدلالة التي في اللسان العربي، فصار بذلك له مفهوم خاص ضمن الرؤية القرآنية الشاملة، وصار بذلك التعبير عن ذلك المفهوم مصطلحا من المصطلحات القرآنية »[33].

وتَبَعًا لذلك، تضيف الدكتورة الفاضلة (فريدة زمرد) زيادةَ بيانٍ وتوضيح في تحديدها لمفهوم (**المصطلح القرآني**) بقولها: « إنَّه كل لفظ دل على مفهوم قرآني خاص لم يكن متداولا عند العرب قبل نزول القرآن الكريم، أو بمعنى أدقّ: كلّ لفظ أكسبه استعماله في القران الكريم دلالة غير التي له في اللغة العربية، مع بقاء أصل الدلالة اللغوية فيه »[34].

أيْ: أنَّ (**اللفظ القرآني**) أو (**المفردة القرآنية**) تجاوزت المعنى اللغوي العامّ، لترتقي إلى معنًى خاصّ، ومن ثم ظهر في النص القرآني مفهومات ومصطلحات خاصة لم تكن موجودة في لغة العرب بالمعنى الذي جاء به الوحي.

المنارة للاستشارات

ww

فالوحي يأتي وينقل (**المفردة**) من معناها اللغوي إلى معنى آخر يريده، فيصبح للكلمة معنًى في اللغة ومعنًى في الشرع، مثل: (**الصلاة**)، (**الجهاد**)، (**الزكاة**)...، الخ.

فـ(**الصلاة**) ـ مثلا ـ: هي في اللغة: (**الدعاء**)؛ أمّا في الاصطلاح القرآني هي: « عبارة عن أقوال وأفعال مخصوصة »، ومثل ذلك يقال مع بقية المصطلحات القرآنية.

وعليه، فـ(**المصطلحات القرآنية**): هي كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، بحيث يختلف معناها اللغوي عن المعنى الذي جاء به الوحي، مما جعلها تتصف بخصوصية دلالية داخل الرؤية القرآنية، لا نجدها في كتب اللغة، أو في أيّ عِلْمٍ من العلوم البشرية، فـ(ألفاظ القرآن) ألفاظ ربانية فريدة في دلالاتها وسياقاتها.

ومِنْ ثَمَّ يمكن استخلاص أن (**المصطلح القرآني**) يتميَّز بصفات تختلف عن المصطلح الإنساني، أيْ كلّ المصطلحات التي أنتَجَهَا العقلُ البشريّ في النقاط الآتية:

1 ـ أن (**المصطلح القرآني**) مصدره ربانيّ، بعكس المصطلحات التي أنتجها العقل البشري في مختلف العلوم، سواء كانت علوم دينية، أو غيرها، وبذلك فهو أصل مصطلحات العلوم.

2 ـ أنّ (**المصطلح القرآني**) يخرج من المعنى اللغوي البسيط العامّ، إلى معنى خاص، مِنْ موقع الكلمة البسيطة إلى موقع المفهوم الغنيّ في دلالته وآفاقه، « فإن في لغة القرآن تطورا دلاليا واسعا عن لغة الشعر الجاهلي أو العصر الجاهلي، مما يدل على أن هذا التطور يستحيل أن يصنعه فرد أو أمة، ولعل هذا التطور الدلالي يكون إثباتا جديدا ودليلا علميا في باب دلالة اللغة على إعجاز القرآن الكريم »[35].

3 ـ ومما يميز (**المصطلح القرآني**) عن غيره: دقّة ألفاظه ومفرداته، إذ اللغة المستعملة في التنزيل تقوم على اصطلاح دلاليٍّ متناهي الدقّة، بخلاف الاستخدام البشري البلاغي العفوي لمرادفات اللغة، وهذا ما يدلّ على قداسة المصطلح القرآني وسموّه.

4 ـ إنّ (**المصطلحات القرآنية**) صالحة لكل زمان ومكان، ذات بُعْد إنسانيّ لا تموت، فهي ألفاظ ومفردات خصبة، إضافةً إلى خُلُوِّهَا من الاختلاف والتناقض، مما يؤكّد انسجامها المعرفيّ والاصطلاحي والمفهومي.

المنارة للاستشارات

ww

المبحث الثالث
خريطة المصطلح في الفكر الإسلامي

إنّ الناظر للفكر الإسلامي بعد استقراء منتوجه، عبرَ مراحلِه، انطلاقا من الفكر التراثي، إلى الفكر الحديث والمعاصر، يكتشف أنه يحفل بزخم من المصطلحات ذات أنماط مختلفة ومتنوعة يتميز بها عن الفكر الغربي، مما جعل (**خريطة المصطلح في الفكر الإسلامي**) تختلف عن (**خريطة المصطلح في الفكر الغربي**)، وذلك راجع لاختلاف مصادر كلّ فكرٍ.

فالأول يقوم على مصدرين أساسيين هما: النقل (**الوحي**) و(**العقل**)؛ بخلاف الثاني، فإنّه يقوم على مصدر (**العقل**) فقط؛ ومِنْ ثَمَّ كانت مصطلحات الأول أكثر تنوُّعًا من الثاني، على اعتبار أنّ (**الوحي**)، أيْ: (النصّ الموحى)، يشتمل على مصطلحات سماوية ذات قداسة، وهي أكثر دقّة مِنْ أيِّ مصطلح أنتجه العقل البشري.

إنّ (**الفكر الإسلامي**) يحتوي على أنماط أو أنواع من المصطلحات، يمكن تقسيمها إلى ثلاث:

أولا ـ (**المصطلح النصّي**)، وهو (**الأصل**).

ثانيا ـ (**المصطلح العقلي الاجتهادي**)، وهو (**الفرع**).

ثالثا ـ (**المصطلح الدخيل**)، وهو (**الوافد**).

أوّلًا: المصطلح النصّي (النقلي)

وهو الأصل، المتمثل في المفاهيم والمصطلحات التي جاءت في نصوص كتاب الله تعالى وبيانه في سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ويتفرَّع إلى نوعين، هما: (**المصطلح القرآني**) و(**المصطلح السُّنّي**).

النوع الأول: (المصطلح القرآني)، هو جزء أو فرع من (**المصطلح النصي**)، أيْ: (**النقلي**)، بل هو أصل مصطلحات العلوم، فلا يكاد يتبادر إلى الذهن مجالٌ من مجالات العلوم والمعرفة إلّا ونجد له مصطلحات دائرة في القرآن الكريم، مستعملة فيه بشكل من الأشكال، حاملة من الدلالات، سواء كان أصلها من العلوم الشرعية، أو من العلوم الإنسانية، أو من العلوم المادية، فهو معصوم، ومحفوظ، ومنزه، لا يُسوَّى بينَه وبيْن ما أنتجته العقولُ البشرية من مصطلحات، لأنه مرتبط بالتنزيل والوحي فأكسبه القداسة، وعليه القداسة منحصرة في القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى.

المنارة للاستشارات

ww

النوع الثاني: (المصطلح السُّنّي)، فالسنة النبوية الشريفة هي منهج التأسّي في رَبْطِ التنزيل بالواقع، وتوضيح منهجية ذلك؛ ومن هنا كان **(النص النقلي)**، وخاصة **(النص القرآني)** هو أصل مرجعية الفكر الإسلامي، فكلما اتّصل المفكّرُون والعلماء بهذا الأصل في إنتاجهم الفكري أكسب هذا النتاج أهمية علمية وشرعية معرفية.

إنّ **(النصّ القرآني)** يحفل بمفردات مفتاحية، ينبغي اكتشافها، إذ هي من قبيل المصطلح، فهو مَنْ أثْرَى النصوص التي تحتوي على مفاهيم ومصطلحات خاصة، تمثّل مفاتيح لفهمه وتدبره.

لقد أدرك المسلمون أن هناك معان إسلامية كوّنَها القرآنُ الكريم، وأنّ بعض الكلمات قد تحوّل معناها عمّا كانت عليه قبل نزوله، مثل لفظة **(الصلاة)**، فهي عند العرب تعني: (الدعاء)، ثم أطلقها القرآن الكريم على الصلاة المعروفة بهيئتها الخاصة وأركانها وسننها ومستحباتها؛ وهكذا الأمر بالنسبة لمصطلح **(الزكاة)** و**(الجهاد)**، وباقي المصطلحات (الألفاظ والمفردات)، التي ينقلها **(النص النقلي)** من معناها اللغوي إلى معنى آخر يريده، فلا غرابة أن يهتمّ علماء الإسلام، ومنهم الأصوليون، بدراسة دلالات ألفاظ القرآن الكريم، تمهيدا للبحث في أصول التشريع الإسلامي، مما أدّى إلى إنتاج واستنباط مصطلحات فرعية، كانت نتيجة تلك المحاولات العقلية الاجتهادية لفهم النص القرآني.

وهذا الاجتهاد ولّد نوعًا ثانيا من أنواع المصطلحات في الفكر الإسلامي، يأتي في المرتبة الثانية من حيث التقسيم والمصدر والمرجع في المنظومة المعرفية للفكر الإسلامي. وهو ما يمكن أن نسميه بالمصطلح الاجتهادي العقلي.

ثانيا ـ المصطلح الاجتهادي (العقلي)

ويراد به تلك المصطلحات التي أنتجها العقل المسلم باستقراء نصوص الوحي، واستنباط أحكامه، ونقصد بـ**(الوحي)** خاصة: **(النص القرآني)** الذي مكّن من تطوّر بعض العلوم، وظهور علوم أخرى سعت إلى خدمة القرآن وتفسيره، وفهم ألفاظه ومصطلحاته، ومفاهيمه وتراكيبه، ومعانيه ووجوه إعجازه؛ فبفضله نشأ (علم التفسير) و(علم أصول الفقه)، و(علم الحديث) و(علم الكلام)، وغيرها من العلوم.

كما ظهرت مناهج علمية كان المسلمون مبدعوها، كمنهج علماء الحديث في الجرح والتعديل، ومنهج علماء اللغة في جمع وتدوين لغة العرب، وهكذا.

فـ**(المصطلح الاجتهادي)**: عبارة عن مصطلحات بشرية عقلية، من إبداع العقل المسلم، الذي تفاعل مع النصّ الثابت، والواقع المتغيّر.

المنارة للاستشارات

ww

إذن كلّ المصطلحات الأصولية والكلامية والفقهية والصوفية وغيرها، التي وُجِدَتْ في الفكر الإسلامي، لم تتولد كتلة واحدة صمّاء، وإنما جاءت نتاجًا لتدافع حركات فكرية وسياسية واجتماعية، وتجاوبًا مع بيئاتها، وتَفَاعلًا مع قضاياها.

والدّارِسُ للفكر الإسلامي منذ عصوره الأولى، يجد أنّ علماء الإسلام تناولوا قضايا عديدة ومسائل متنوعة، كلّها داخلة ضمن فهم الوحي واكتناه معانيه، والدفاع عنه، ولهذا انقسموا إلى مذاهب ومدارس، كلٌّ منها يتناول جانبا من جوانب هذا الفكر؛ فالمتكلّم يهتمّ بـ(علم الكلام)؛ والأصولي بـ(علم الأصول)؛ والفقيه بـ(الفقه)؛ والمفسر بـ(التفسير)، وهكذا.

واختار كلّ فريق طريقا ومنهجا للوصول إلى المعرفة الشرعية؛ وتتفق كلّ هذه المدارس في خدمة الوحي والدفاع عن شريعة الإسلام، مستعينة بأسلوبها وخصائصها ومنهجها العقلي للوصول إلى الحقيقة.

فمصطلح (**العقيدة**) و(**التوحيد**) ـ مثلا ـ في الجانب العقائدي، ومصطلح (**العام**) و(**الخاص**) في الجانب الأصولي، ومصطلح (**الأداء**) و(**القضاء**) و(**الإباحة**) و(**الكراهة**) في الجانب الفقهي، ومصطلح (**الكشف**) و(**المجاهدة**) في الجانب الصوفي، هي كلّها مصطلحات أنتجها العقل المسلم بالاستناد إلى الأصل، وهو (**النص النقلي**)، المتمثّل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وفهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

وعلى الرغم ممّا حقّقه هذا العقل من إنتاج معرفي، أسهم في الارتقاء بالمنظومة المعرفية للفكر الإسلامي، إلا أنّنا نجد ألفاظا ومصطلحات اجتهادية أنتجها العقل المسلم، خاصة بطائفة، أو فريق، أو مذهب تابع له، دون الرجوع إلى الأصل، وهو النص القرآني، أيْ: التسليم بمصطلحية كل طائفة أو فرقة أو مذهب، بدلًا من التسليم بمصطلحية ألفاظ كتاب الله تعالى، فأحدث غفلة عن هذه الحقيقة أضرار أخطرها: عَدَمُ الالتزام بمصطلحات القرآن الكريم في عدد من علوم الدين، واستعمال ألفاظا أخرى بدلا منها، مما أدّى إلى وجود منطقة فراغ فكري مُلِئَ بمصطلحات دخيلة وشاذّة.

ثالثا: المصطلح الوافد الدخيل

ويقصد به: « تلك المفاهيم والمصطلحات النابعة من ثقافة الآخر، خارجة عن الذات، استوردته الذات حسب حاجاتها، فانتقل وتغلغل في النسيج الفكري للأُمّة »؛ كما يراد به أيضا: « كل ألفاظ العلوم التي انتقلت إلينا من غير ثقافتنا ».

إنّ المصطلح الدخيل الوافد ليس حديثا في الفكر الإسلامي، فقد ظهر مع النشأة الفكرية للأُمّة، ليدخل بعد ذلك في أطوار تاريخية: قوّةً، وضعفًا، سِلْبًا وإيجابًا.

المنارة للاستشارات

ww

فبعد انتشار الإسلام بالفتوحات الإسلامية، ودخول الأعاجم إلى الإسلام، واحتكاكهم بالعرب، وظهور الترجمة، دخلت المصطلحات الوافدة إلى المنظومة الفكرية للعالم الإسلامي، عن طريق علوم كثيرة، أبرزها: (الفلسفة اليونانية) التي انبهر بها طبقة من المفكّرين والعلماء، فتَمّ توظيف تلك المصطلحات في أغلب العلوم الشرعية والاجتماعية والإنسانية. في تاريخنا المعاصر

ونشير هنا إلى أنّ الاستعمار الحديث بما يمتلكه من وسائل في تنفيذ عملية (التبعية اللغوية)، استطاع أن يرسّخ لغته، بحجّة أنها تمثل رمزا للحداثة والحرية، وانتماءً للطبقات الراقية والمثقّفة، في الوقت الذي أضحت فيه لغة الأمّ مجرّد تعبيرٍ لتراثٍ ثقيلٍ، حائلٍ، أمامَ اللّحَاق بركب الحضارة الحديثة (20)، ومن ثم انتشرت المصطلحات المعاصرة الدخيلة الوافدة النابعة من الفكر الغربي، كمصطلح (**الحداثة**)، و(**العولمة**)، و(**ما بعد الحداثة**)...، الخ.

والمُستَقْرِئُ للتراث الفكري الإسلامي وتاريخه، يجد أنّ (**المصطلح الوافد**) كان حاضرا في كلّ الفَتَرَات الزمانية التي مرّ بها، كما يجده ينقسم إلى قسمين: (**مصطلح وافد ايجابي**) و(**مصطلح فاسد سلبي**).

ـ **أمّا الأول**، فهو إيجابيّ، لأنّه يخدم الفكر الإسلامي في جميع المجالات والعلوم، فظهور ثقافة الآخر في العصر الأول، عن طريق حضارة الإغريق والفرس وغيرهم، انفتح العالم الإسلامي على الآخر، بما يحمل من علمٍ وإبداعٍ فكريٍّ، فتولّدت لدى العلماء مَلَكَة النّقْد لفكرِ الآخَرِ، والاستفادة في الوقت نفسه بما أنتجه من علوم ومعارف، وذلك بوضع ضوابط منهجية في التعامل مع تلك المصطلحات الوافدة على أهل الإسلام، مِنْ قِبَلِ المخالفين لهم في العقائد والأفكار.

ـ **وأمّا الثاني**، فقد فُرِضَتْ على الأمّة الإسلامية مصطلحات غريبة عنها في مفهوماتها، لِتَحُلّ محَلّ مفهومات أصيلة، إذ وضع (**المصطلح الدخيل**) في منزلة أعلى من المعاني التي دلّت عليها الشريعة، فأصبح في منزلة الأصل، بينما المصطلحات الشرعية في منزلة التابع، مما أدّى إلى تغييب (**المصطلح القرآني**)، واتّهام (**النص القرآني**) أنّه غير مستوعب لجميع ما تحتاج إليه البشرية في كل عصرٍ، وابتعاد المفكّرين والمثقفين والمختصّين عن استعمال (**المصطلح القرآني**) أدّى إلى القطيعة المعرفية بالتراث القرآني، وتضخيم الآراء الشاذّة، فضلا عن بحثهم عن المصطلحات الغريبة، والدخيلة علينا من الغرب.

ـ وبسبب (**المصطلح الدخيل**) في الفكر الإسلامي ظهرت الحاجة إلى مصطلحات أخرى، تعبّر عن أوضاع الصراع الحضاري المعاصر، بين منظومة الحضارة الإسلامية ومنظومة الحضارة الغربية.

المنارة للاستشارات

ww

وقد اضطر المفكّر الإسلامي في هذا السياق ـ حافظًا على عقيدته وحضارته ـ أن يبحث عن مصطلحات معاصرة تعبّرُ عن كلّيّات وجزئيات ذلك الصراع، حتى لا يضيع المسلمون في دوّامة مصطلحات المنظومة الحضارية الغربية...، وكان نتاج ذلك مصطلحات فكرية جديدة في الوسط الثقافي الإسلامي الحديث، مثل مصطلح: (**الفكر الإسلامي**) و(**النظام الإسلامي**) و(**التصور الإسلامي**)، في مقابل مصطلحات فكرية غربية شائعة.

وهذه المصطلحات الإسلامية الحديثة تؤدّي في حقيقتها دورا إيجابيا هامًّا وأساسيًّا في حياة الناس، ولنْ يتحقّق الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي إلّا بالعودة إلى هذه الأصول، وذلك بدراسة (**المصطلح القرآني**)، وإدخاله في الحقول المعرفية المتنوّعة.

المنارة للاستشارات

ww

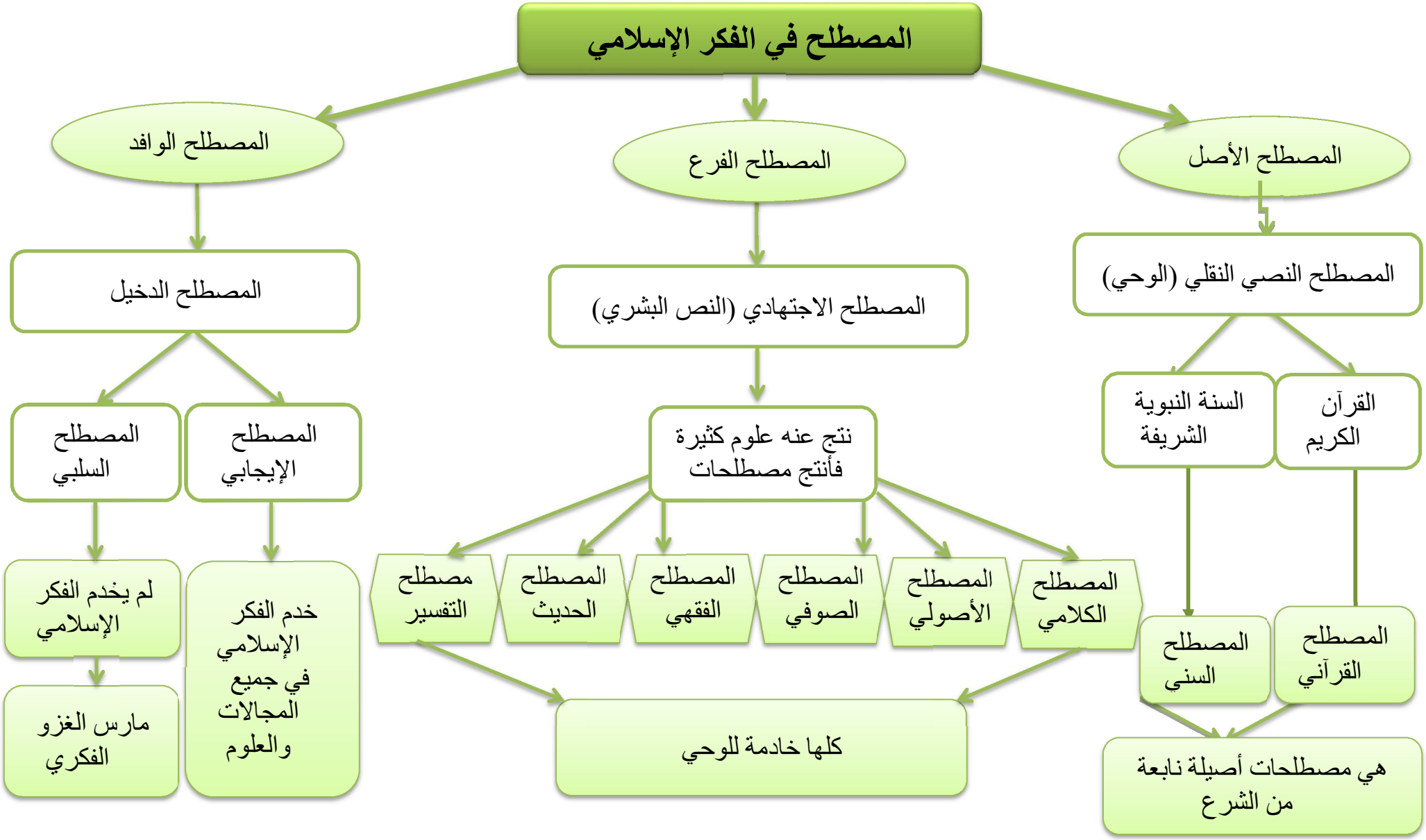

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

مكانة المصطلح القرآني

إنّ (**المصطلح**) عموما هو وعاء لحمولةٍ فكريّةٍ وثقافيةٍ، يتجاوز في قَدْرِهِ وعُمْقِهِ، واتّساع دلالاته، ذلك الإطار اللفظي المكوّن من عدّة أطرافٍ، بل إنّه جوهرُ التفاعلِ الحضاريّ.

و(**المصطلح القرآني**) خاصّة يقع في صلب هذه العملية الحضارية، فهو الأصل والأساس، لأنّه يدعو إلى جمع شتات المفرّق في اللغة الواحدة، فيسموا بالأُمّة ولغتها إلى المعالي، ويُضيّق فجوات الشّقاق، وثغرات الفُرْقَة بين علماء الأمّة، ويُقلّل من الخلاف بينهم؛ والبُعْد عنه ـ أيْ: المصطلح القرآني ـ يؤدّي إلى قطيعة معرفيّة بالتراث القرآني، وتضخيم الآراء الشاذّة والبحث عن المصطلحات الغربية الدخيلة. إن ألفاظ القرآن الكريم هي المفاتيح ولا سبيل الى فقه النسق ،أو المفاهيم المكونة له بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته فهي مفتاح الوصول الى ما نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم قرآنا وسنة ؛وذلك وفق منهج الدراسات المصطلحية اذ يمكن حصره بإيجاز في المراحل التالية:

1-**الإحصاء**: إحصاء جميع مشتقات الجذر اللغوي للفظ في جميع الآيات التي ورد بها في القرآن الكريم كله مثلا وردت مادة (نظر) في القرآن الكريم في أربع ومائة -104- موضع، موزعة على خمس وأربعين -45- سورة، و أغلب ما يعرفه الناس عن مادة (نظر) أنها تستعمل في نظر الرؤية، ولكن في القرآن نجد أن مادة (نظر) قد استعملت على عدة معاني:

- نظر الرؤية :قال الله عز وجل :(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) القيامة: 22-23.

- نظر الانتظار :قال تعالى :(مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) يس: 49.

- نظر التأمل والاعتبار :قال عز وجل: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) آل عمران: 137.

- نظر التعطف :ويراد بالنظر في القرآن الكريم أيضاً، العطف والرحمة والشفقة، لقوله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) آل عمران: 77

- نظر المهلة والتأجيل :قال تعالى} :(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) لبقرة: 162-163

-نظر الخوف والرعب والمذلة :قال تعالى: (وَأَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)] الأحزاب: 79.

2- تصنيف جميع النصوص المحصاة بعد استخلاصها، حسب الأهم فالأهم من المشتقات.

3- دراسة معاني المشتقات في المعاجم اللغوية، دراسة تضع نصب عينها مدار مشتقات الجذر علامه؟ و مأخذ المشتق المستعمل في القرآن الكريم.

فالدراسة المعجمية للمصطلح تبين أمرين اثنين :

الأول: أصول اللفظ في اللغة وضبط مداره ومن ثم معرفة ما أضافه القرآن على اللفظ من مضامين الوحي بل قد تقلب مدارها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني: مأخذ ما أضيف للفظ القرآني.

4- تفهم مفهوم المشتق الأهم في كل نص من النصوص التي ورد بها تفهما يستعين بكل ما يؤمّن الفهم السليم و يحذر من كل ما يزلّ و يضلّ، من تصور سابقا وخاطر.

5- تصنيف نتائج الفهم حسب العناصر المكونة للمفهوم.

6- تعريف لفظ المفهوم تهريفا يحيط بكل عناصر المفهوم التي استخلصت من مجموع نصوصه.(36)

و مجمل القول ينحصر عمل الدارس للمصطلح القرآني في :

أ- مرحلة الإحصاء: وهي تشمل:

- إحصاء المصطلح كيفما ورد شكلاً وحجماً واشتقاقاً.
- إحصاء القضايا العامة المندرجة تحت مفهومه.

ب- مرحلة الدراسة المعجمية: والغاية منها ما يلي:

- الوقوف على المعنى العام للجذور اللغوية للمصطلح.
- الوقوف على المعاني الخاصة لمشتقات هذا الجذر وذلك بالاعتماد على أمهات المعاجم.

ج- مرحلة الدراسة النصية:

وهي المرحلة الحاسمة في البحث، تقوم على ضبط مفهوم المصطلح وذلك بعد تتبع دلالاته الجزئية في كل نص. وبذلك يتحقق المقصد من دراسة المصطلح القرآني المتمثل في:

-الاستجابة لأمر الله عز وجل في تدبر القرآن الكريم، قال تعالى} :(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) ص: 29.

- ترسيخ المفهوم الصحيح ونفض الغبار عنه وكشف الغطاء عن معانيه لتحصيل المقاصد التابعة.
- تصحيح الأفهام الخاطئة.
- جريان هذه المصطلحات وتداولها على الأذان استماعاً والأفواه قولاً.
- العمل بمقتضياتها باللسان والقلب والجوارح.

إنّ خريطة المصطلح في الفكر الإسلامي تُبيّن أهميّة ومكانة (**المصطلح القرآني**) من خلال معرفة وقراءة (**النصّ القرآني**) وما يحمله من دلالات ومعاني، فضلا عمّا نتج عنه من تراث إسلامي عظيم، وعلوم كثيرة مفيدة، فهذا التراث الثّريّ الغزير يخدم المنظومة المعرفية الإسلامية في عصرنا، لذلك نرى أنّ العلم الدقيق بمعاني (**النص القرآني**) كفيلٌ بتشكيل وَعْي إسلاميٍّ هامٍّ، وصناعة ثقافة إسلامية معاصرة، تحقق النتائج الآتية:

1 ـ بناء منظومة معرفية فكرية إسلامية معاصرة تعيد مجد الحضارة الإسلامية وتجدّد مفاهيمها، وتساهم في إعادة إحيائها، وِفْق مُقْتَضَيَات العصر.

2 ـ تَضْييق دائرة الخلاف بين أهل العلم والمختصين في شتى الفنون والعلوم، والتقريب بين المذاهب الإسلامية الفكرية المختلفة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 ـ وضع حدّ للمصطلحات الوافدة الدخيلة، وتقزيمها قدر الإمكان، إذ كان لها أثرٌ سلبيٌّ على المنظومة المعرفية الفكرية الإسلامية.

أمّا المصطلحات التي تتوافق مع الفكر الإنساني وتخدم رصيدنا المعرفي، فإننا نحن المسلمون نَنْفَتِحُ لها ونستفيد منها، دون أيّ حَرَج.

وعليه، فإنّ (**المصطلح القرآني**) يُرَتَّب في أعلى الهرم داخل الخريطة الفكرية الإسلامية، لكونه الأساس والأصل، ومن الطبيعي أن يدعو المفكّرون المسلمون قديما وحديثا إلى استعمال هذه المصطلحات القرآنية ومفاهيمها الشرعية، والاهتمام بدراستها دراسة موضوعية عقلانية، حتّى يتحقّق مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي، والإصلاح الشامل لحياة الناس، في دينهم ودنياهم.

خاتمة البحث ـ نتائجه وتوصياته

من خلال هذا العرض المتواضع، توصّلت إلى النتائج الآتية:

1 ـ معرفة (**المصطلح**) ضرورة من ضرورات البحث، فهو اللّبِنَة الأولى والمقدّمة الأساسية لكلّ علم وفي أيّ مجال من المجالات، بل عليه مدار كلّ علم، به يبدأ، وبه ينتهي، فهو ـ كما يقول الإمام الشاطبي ـ: « إمّا واصفا لعلم كان، أو ناقلا لعلم كائن، أو مؤسّس لعلم سيكون »، وعلى هذا، فإنّ دراسة المصطلح وتقديم مفهومه الصحيح يمثّل منهجا ثابتا في المشروع الفكريّ، الذي يهدف إلى إعادة الأصالة إلى التراث الإسلامي، وتصحيح المفاهيم والعقائد والآراء التي لَحِقَ بها التحريف والتشويه، لذلك نحن بحاجة إلى بذل جهود علمية كبيرة في دراسة وتعريف المصطلحات بشكل موضوعي، دقيق، من أجل المساهمة في فهم وتوجيه الدراسات العقائدية والتاريخية وغيرها من حقول المعرفة الإسلامية.

ـ أهمّيّة (**المصطلح القرآني**) في الحقول المعرفية ومجالاتها، فهو الحجر الأساس في المنظومة المعرفية الإسلامية، المتمثلة في (**النص**) أو (**الوحي**)، لخصوصيته الدلالية، وخصوبة مفهوميته، بحكم قرآنيته، فكلّ كلمة في القرآن لها دلالتها المفهومية المميّزة، خلافا للاستخدام البشري البلاغي العفوي لمرادفات اللغة والاجتهاد العقلي.

ـ إنّ دراسة (**المصطلح القرآني**) هو الخيط المفهومي الجامع لكل العلوم التي أنتجها الفكر الإسلامي عبر التاريخ، باعتبار أن (**النص القرآني**) هو المصدر المرجعي لهذا الفكر.

ـ إن خريطة المصطلح في الفكر الإسلامي تبيّن أن موقع (**المصطلح القرآني**) يكون في أعلى الهرم، فهو الأساس والأصل، باعتبار أنّ المصطلحات القرآنية هي الأصول الفكرية لكلّ مُنْتِج للفكر والمعرفة، مفسرا كان أو لغويا، فقيها أو مفكرا، متكلما أو أصوليا، وذلك لسمو هذا المصطلح ودقّتِه على أيّ مصطلح علمي ينحته العلماء.

ـ من خلال خريطة المصطلح في الفكر الإسلامي نكتشف أن الفكر الإسلامي غني بالمصطلحات، سواء المصطلحات الشرعية التي جاء بها النص الشرعي (القرآن والسنة)، أو مصطلحات مُشرِّعة متفاعلة التي أطلقها علماء المسلمين في مختلف العصور، إضافة إلى مصطلحات وافدة دخيلة منذ القدم.

ـ إنّ البُعْد عن (**المصطلح القرآني**) أدّى إلى القطعية المعرفية بالتراث الإسلامي، وتضخُّم الآراء الشاذّة والبحث عن مصطلحات غريبة، فغياب أو تغييب المصطلح القرآني، والبُعْد عنه أدّى إلى وجود منطقة فراغ فكريّ مُلِئَ بمصطلح دخيل، وهذا ما يظهر جليّا عند بعض المفكرين المعاصرين المتأثرين بالفكر الغربيّ، وحتى بعض المفكّرين القدماء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذا السياق نخلص إلى ذكر أهمّ توصيات البحث المقترحة، وهي كما يأتي:

1 ـ استثمار الندوات والمؤتمرات وتفعيلها على أرض الواقع، بإنشاء مركز علمي مستقلّ، له فروع في جميع الدول الإسلامية يهتمّ بـ(**الدراسات الاصطلاحية**) عامة، وبـ(**المصطلح القرآني**) خاصة.

2 ـ تدعيم هذا المركز العلمي ـ ماديًّا ومعنويًّا ـ بجهود وإسهامات الجامعات والمعاهد المتخصّصة والمخابر العلمية، والمؤسسات الوطنية والدولية.

3 ـ إخضاع هذا المركز العلمي إلى الالتزام بالمناهج العلمية الدقيقة التي يُراعَى فيها خصوصية (**المصطلح القرآني**)، وعلاقته بالشهود الحضاري للأمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش:

1- ابن منظور: لسان العرب دار صادر بيروت، (ط/6)، (1417هـ ـ 1997م)، (ص/65).

2- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، (ط/6)، (1419هـ ـ 1998م)، (ص/25).

3- أحمد بن محمد عل المقري الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان، (د ـ ت ـ ط)، (ص/248).

4- الرازي: مختار الصحاح تحقيق محمد خياط وحمزة فتح الله دار البصائر مؤسسة الرسالة ـ بيروت، دمشق، طبعة (1407هـ ـ 1987م)، (ص/231).

5- سامي محمد الصلاحات: معجم المصطلحات السياسية من تراث الفقهاء مؤسسة الرسالة- الدار العامرة- دمشق ط2: 1431هـ/2010مـ ص145.

6- انظر: أبو حامد الغزاليـ إحياء علوم الدين دار الجبلـ بيروت –ط1: 1414هـ/1992م ج5، ص7

7- المرجع نفسه، (ص/28، 156).

8- دار جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب بيروت (د.ر.ط) ط 1414هـ/ 1994م ج 2. ص154.

9- عبد الوهاب الكيلاني: الموسوعة السياسية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ط3: 1992م، ج4- ص564.

10- الإمام الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد تحقيق أسعد تميم مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت ط1 1991، ص25.

11- أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين، (426/4).

12- الجرجاني: التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبيادي دار الفكر العربي- بيروت- لبنان ط1: 1405هـ/ ص217.

13- محمد علي بن علي التهانوني: كشاف المصطلحات الفنون، دار صادر- بيروت ج3، ص1121.

14- د.طه جابر العلواني: الأزمة الفكرية المعاصرة. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الامريكية ط2، 1413هـ 1993م، (ص/27).

15- د.أنور الجندي: الإسلام والمصطلحات المعاصرة دار الهداية ط1، 1417هـ/ 1997م ص307).

16- حسن الترابي: تجديد الفكر الإسلامي دار الحديث الجزائر، ط: 1995/ ص59.

17- محمد البهي: الفكر الإسلامي في تطوره، مكتبة وهبة –القاهرة- ط2: 1401هـ1981، ص6.

18- د. محمد بن موسى بابا عمي: أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي دراسات مقارنة بالفكر الغربي، جمعية التراث الجزائر ط1: عام 1425هـ 2004م ص42.

19- محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ط1: 1416هـ 1996م ص41).

20- ابن منظور: لسان العرب ج7 – ص384).

20- سعيد شبار: المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية ـ قطر ـ سلسلة كتاب الأمة، (ط/2000م)، (ص/84).

21- الزمخشري: أساس البلاغة مكتبة لبنان ناشرون –بيروت- ط1 ـ 1996 – ص252

22- الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة دار مكتبة الحياة –بيروت- ط 1378هـ 1959م –ج3- ص478

23- السيد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق: د.حسن نصار مراجعة: جميل سعيد و عبد الستار احمد مطبعة حكومة الكويت –ط1389هـ 1969م – ج7 –ص547

24- رواه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب 7 (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب) وكتاب الأدب باب كنية المشرك وكتاب الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين وغيرهم، ورواه مسلم في صحيحه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتاب الجهاد والسير، باب من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله وصبره على المنافقين ورواه أحمد في مسنده كتاب مسند الأنصار حديث رقم 20772.

25- رواه الإمام أحمد في مسنده كتاب مسند الكوفيين حديث رقم 18152.

26- محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح دار غريب للطباعة القاهرة ص58

27- المصطلح العربي بين القديم والحديث: محمد عبد الله العيسي رسالة دكتوراه، جامعة تشرين كلية الآداب والعلوم الإنسانية سوريا سنة 2008م ص11.31 انظر: مصطلحات بيانية دراسة بلاغية تاريخية د.إبراهيم عبد الحميد السيد التلب مطبعة الحسين الإسلامية ط1: 1418/1997 ص3.

28- د.حمدي صلاح الأحمد: مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث، دار البصائر القاهرة، ط1: 1429هـ/ 2008م ص106

29- انظر كتاب علم المصطلح لطلبة كليات الطب والعلوم الصحية جمع مادته المساهمون في شبكة تحديث العلوم إشراف د. محمد هيثم الخياط، الإعداد والإشراف العام .الشاهد البو شيخي، أكاديميا العالمية بيروت ط 2007 (د.ر.ط) ص60.

30- د.عبد الرحمن حللي المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية دار الريادة ـ دار الملتقى حلب سوريا ط1: 1432ـ 2011 ص34.

31- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن –تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم –دار التراث القاهرة –ج1ـ ص318

32- الجرجاني: التعريفات ص223.

33- د/الشيخ العلامة الشاهد البو شيخي: القرآن الكريم والدراسات المصطلحية –ص20

34- د/فريدة زمرد: جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني المسار والمصير –ص551، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه –سنة 1432هـ/2011م، فاس المغرب.

35- د/ابراهيم السامرائي: في المصطلح الإسلامي، دار الحداثة –بيروت لبنان ط:1 ـ 1990م، ص7.

36- أ.د . الشاهد البوشيخي: دراسات مصطلحية ،دار السلام- القاهرة مصر ط:2 .1433هـ، 2012 ص103-104.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com